ادعاء أن القرآن كان وثيقة قديمة مخطوطة عثر عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فسمَّاها قرآنًا

المؤلف : **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
المصدر : **موسوعة بيان الإسلام**
التاريخ : **13:28:50 23-08-2020**

نص السؤال

ادعاء أن القرآن كان وثيقة قديمة مخطوطة عثر عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فسمَّاها قرآنًا

خاتمة الجواب

ادعاء أن القرآن كان وثيقة قديمة مخطوطة عثر عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فسماها قرآنا (*)

مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتقولين أن القرآن الكريم وثيقة قديمة مخطوطة، اكتشفها النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخذ يعدل فيها ويجود، وسماها قرآنا، ويتساءلون: ما الذي قدمه محمد - صلى الله عليه وسلم - للبشرية غير أنه أظهر تلك الوثيقة؟ وهم بهذا يشككون في كون القرآن وحيا إلهيا نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وجها إبطال الشبهة:

1) لم يكن القرآن وثيقة قديمة، وإلا فأين كانت تلك الوثيقة؟ ولماذا لم يعثر عليها غير محمد - صلى الله عليه وسلم - وينسبها لنفسه

لينال من الشرف ما ناله محمد صلى الله عليه وسلم

2) إن فيما اشتمل عليه القرآن من غيبيات - المستقبل خاصة -، وما عهد عن النبي من انتظار نزول الوحي للإجابة على أسئلة هو في أمس الحاجة للإجابة عنها؛ نقول: إن في هذا كله ما يبطل دعوى كون القرآن وثيقة، فلو كان القرآن بحوزته ففيم كان انتظاره؟!

التفصيل:

أولا هل حقا كان القرآن وثيقة مخطوطة من قبل محمد صلى الله عليه وسلم؟!

الحق أن هذا الزعم يكتنف كثيرا من التحامل مما يجعلنا نتساءل: إذا كان القرآن - كما يزعمون - فأين كانت تلك الوثيقة؟! ولماذا لم يعثر عليها غير محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب؟! ومن ذا الذي دله عليها؟! ثم ألم يكن هذا الذي دله أولى بها منه صلى الله عليه وسلم؟!

فعلى فرض أنه كان وثيقة قديمة عثر عليها أحد الرهبان أو الأحبار، فقد كان من الأولى بهذا الحبر أو ذاك الراهب أن ينسبها لنفسه، أو يقوم هو بنشرها لينال شرف السيادة والزعامة، لكن هذا لم يحدث، ولم يدع أحد الأحبار أو الرهبان ذلك

وإذا تجاوزنا حقيقة ارتفاع القرآن عن مستوى البشرية بما فيه من غيبيات وإعجاز ليس في مقدور بشر - بالغا من النبوغ ما بلغ - أن يحيط بها علما حتى لو كان النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه؛ نتساءل هل يوجد عاقل في ذرعه أن يأتي بما أعجز الناس - قديما وحديثا - من الغيبيات، والمعجزات ثم ينسب بضاعته لغيره وينسلخ منها انسلاخا؟!

الحق أننا نرى كثيرا من الأدباء يسطون على آثار غيرهم، فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله، وغلت قيمته، وأمنت تهمته، أما أن ينسب أحد لغيره آثار بحثه، وعصارة عقله، فهذا ما لا يقبله عقل، ولا يؤيده واقع ولا تجربة

وإذا قال قائل: إن محمدا قد نسب تلك الوثيقة لله - سبحانه وتعالى - لأن في ذلك ما قد يجعل لها من الحرمة والتعظيم ما لا يكون إذا نسبها لنفسه، قلنا: هذا قياس فاسد في نفسه، فاسد في أساسه

أما أنه فاسد في نفسه؛ فلأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد صدر منه الكلام المنسوب إلى نفسه، وهو الحديث الشريف، في نفس الوقت الذي صدر عنه كلام الله - عز وجل - فلم لم ينسب كل الكلام الصادر عنه لله - سبحانه وتعالى - ليزداد بذلك قداسة وتعظيما؟! هذه واحدة، والثانية: أن أرباب اللغة - ومن لهم دراية بفنون القول وعلوم العربية - يدركون الفرق الواضح بين بلاغة القرآن الكريم، وبلاغة الحديث النبوي الشريف؛ حيث التفاوت الطبيعي بين كلام صدر عن الله - عز وجل - وكلام صدر عن بشر؛ وإن كان - أبلغ الناس كافة - رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما عن كون قياسهم فاسدا في أساسه؛ فلأنه مبني على افتراض باطل، هو تجويز أن يكون محمد - صلى الله عليه وسلم - ممن تبرر الغاية عندهم الوسيلة غير المشروعة، أولئك الذين لا يأبون في الوصول إلى غاية إصلاحية، أن يعبروا إليها على قنطرة من الكذب والتمويه، وذلك أمر يأباه التاريخ كل الإباء؛ لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد شهد له أعداؤه بالصدق والأمانة، قبل أن يشهد له

أصحابه [1].

ثانيا طبيعة ما اشتمل عليه القرآن من جهة، وواقع النبي - صلى الله عليه وسلم - في انتظار الوحي من جهة ثانية؛ خيرا شاهدين على استحالة أن يكون القرآن وثيقة:

ومعلوم أن القرآن نزل منجما في ثلاثة وعشرين عاما حسب الغايات الربانية، وهذا خير دليل على أنه وحي من الله - سبحانه وتعالى - وأنه يمضي حسب المشيئة الإلهية، لا حسب الأهواء والرغبات الشخصية، وكم من مرة كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حاجة ماسة لنزول الوحي فيتأخر عنه، وكم من مرة نزل عليه بغير ما يتوقع [2].

وزمن نزول الوحي في مجموعه ثلاثة وعشرون عاما؛ وبذلك لا يكون ظاهرة مؤقتة أو خاطفة، ولقد نزلت الآيات منجمة (مفرقة)، وبين كل مرة والتي تليها مدة انقطاع تتفاوت طولا وقصرا، وقد ينقطع الوحي مدة أطول مما ينتظره النبي - صلى الله عليه وسلم - لا سيما عندما يلزمه أن يتخذ قرارا يعتقد أن من الواجب ألا يصدره قبل تصديق السماء عليه، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها:

- موقفه - صلى الله عليه وسلم - إزاء قرار الهجرة، فلقد هاجر أصحابه من مكة فارين بدينهم، بينما كان يعتقد - صلى الله عليه وسلم - أنه لا بد فيما يتعلق بشخصه أن ينتظر أمرا صريحا من الوحي
- انتظاره - صلى الله عليه وسلم - وحي الله في حادث الإفك،الذي لم يفصل فيه الوحي إلا بعد شهر من الانتظار المرير عاشه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حيرة

على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن وحده في هذا الشأن، بل شاركه المسلمون ذلك؛ فبينما كان الإسلام ينتشر في ربا الحجاز ونجد، كان الوحي يتنزل بالدرس الضروري في المثابرة، والصبر، والإقدام، والإخلاص، يتلقنه الأبطال المسلمون تباعا حسبما يجد من أمور وما يعرض من أحداث، ولو نزل القرآن جملة واحدة؛ لتحول سريعا إلى كلمة مقدسة خامدة، وإلى فكرة ميتة لا مصدرا يبعث الحياة في حضارة وليدة، وكان من الممكن لهؤلاء المدعين حينها أن يقولوا: إنه وثيقة قديمة عثر عليها محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا ما لم يكن، وصدق الله القائل:

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا (32) ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (33))

(الفرقان) [3].

ويحسن في هذا الصدد أن نشير لما انفرد به القرآن من مظاهر الإعجاز على مستوى الإخبار بالغيب المستقبل، وأمام ما نبأ به القرآن من تلك المستقبليات التي صدقها الواقع بعد ذلك؛ لا يستقيم لعاقل أن يدعي كون القرآن وثيقة قديمة

كما لا يستقيم هذا الادعاء أيضا إذا ما وقفنا على ما اشتمل عليه القرآن من الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا في العصر الحديث، بعد ما توصلنا إليه من التقدم العلمي وظهور الأجهزة والمخترعات

ولعل المقام لا يتسع لحصر الأمثلة المندرجة تحت هذا اللون من ألوان الإعجاز القرآني - كما لم يتسع لسابقه - لكننا نلمح سريعا

لمراحل تطور الجنين، والتي أدهشت البروفيسور "جولي سمسون" [4]، وكان في شك من أمر إخبار الإسلام - قرآنا وسنة - عن تلك المراحل هذا الإخبار المفصل، فلما تأكد من النصوص الإسلامية؛ تساءل مندهشا [5]:

هل هذه نصوص القرآن؟ هل هذه نصوص السنة؟

ولما اطمأنت نفسه لها؛ قال: "أعتقد أنه لا يوجد خلاف بين المعرفة العلمية، وبين الوحي، بل إن الوحي ليدعم أساليب الكشف العلمية التقليدية المعروفة حينئذ، وقد جاء القرآن الكريم، قبل عدة قرون مؤيدا ما تطرقنا إليه، مما يدل على أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل

الخلاصة:

- لو كان القرآن وثيقة قديمة عثر عليها محمد - صلى الله عليه وسلم - من أحد الأحبار أو الرهبان، فلماذا لم يقم الراهب أو الحبر بنشرها؛ لينال هو شرف الرسالة، ولماذا عثر عليها محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة
- إن المتأمل في واقع النبي - صلى الله عليه وسلم - وانتظاره نزول الوحي؛ يجزم بإلهية القرآن؛ إذ لو كان هذا القرآن وثيقة في حوزته، فلماذا انتظر نزوله بما هو في أمس الحاجة إليه؟!
- إن غيبيات المستقبل التي صدقها الواقع على المدى البعيد والقريب خير شاهد على إلهية القرآن، فأنى لوثيقة مجهولة الهوية - أو حتى يهودية أو نصرانية - أن تتنبأ من الغيب بما اختص به الله - سبحانه وتعالى - ذاته؟!

(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (26) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (27))

(الجن).

- الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم، والتي أثبتتها البحوث، والاكتشافات العلمية في العصر الحديث بعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمان، تؤيد ما جاء به القرآن، وهذا دليل قاطع على أن القرآن وحي من عند الله - سبحانه وتعالى - صاحب العلم الأزلي، وإلا كيف بهذه الوثيقة القديمة في عصور البداوة والجهل، أن تعرف تلك الحقائق؟!